

الوطنية في السلوك الجامعي

باسم الله الرحمن الرحيم, و الصلاة و السّلام على النبي الأمين,

السيد مدير المدرسة الوطنية متعددة التقنيات لقسنطينة,

الزميلات و الزملاء الأساتذة أعضاء الطاقم المسير في المدرسة,

الزميلات و الزملاء أساتذة المدرسة,

عزيزاتي و أعزائي طلبة المدرسة,

إنّ الدخولَ الجامعي لهذا العام يأتي في سياقٍ عالميٍّ بالغ الاضطراب، إختلطت فيه أساليبُ الحرب النفسية عبر شبكات التواصل الاجتماعي بالعقوبات الاقتصادية، و التهديدات الموجهة ضدّ سيادة بعض الدول، إلى حروب التوسّع الرامية إلى إعادة تشكيل الخرائط السياسية للعالم، بما قد يُفضي إلى اندثار دول قائمة وظهور كيانات جديدة، تكون – على الأرجح – في خدمة نظام عالمي لا يزال يسعى إلى تكريس الفوارق بين الشعوب الغنية والفقيرة، واستبعاد الأخيرة استبعادًا تامًا باختلاس مكشوف أحيانا لمقدّراتها البشرية و المادية على سواء.

والظنّ بأننا قادرون على البقاء في منأى عن هذا المناخ العالمي الموبوء ليس سوى وهم، فالأطماع لا تعرف حدودًا، وتدوم الصداقات بين الدول ما دامت المصالح قائمة فهي رهن للتقلّبات و للحسابات التي لا تترك مكانا للعواطف، ومن يتوانى عن إمتلاك مقومات القوّة...يعيش أبد الدّهر بين الحفر.

وإن كان اكتساب العلوم والتقنيات من أهم أسباب بناء القوة للكيانات، إلا أن التاريخ حدّثنا عن اندثار ممالك و إمبراطوريات عظيمة، عندما غابت عنها روح الجماعة و المسؤولية و الإحساس بالانتماء، والاستعداد للبذل في المنشط و المكره .

فهذه قرطاج، تغزو روما في عقر عاصمتها، وتحاصرها لأشهر ثم تخسر الحرب، لأن أنانية بعض القرطاجيين أفضت إلى رفض إرسال الإمدادات إلى حنّبل خشية أن يعتلي السلطة إذا رجع متنصرًا، فكانت النتيجة أن استجمعت روما جيوشها ثم زحفت نحو قرطاج ومحتها من الوجود. وهذه روما نفسها، اضمحلّت حتى اختفت كإمبراطورية عظيمة، بعدما تفشت فيها الأنانية والفساد، كما وصفها القائد النوميدي يوغرطة حين زارها قائلًا :

"يا لمدينة معروضة للبيع ! ستجد عاجلاً أم آجلاً من يشتريها فيدمرها" ...و قد كان

بعد هذه المقدمة, نخلص إلى التساؤل: ما هو واجبنا تجاه الوطن الذي رأينا فيه النور ونشأنا في ربوعه، ذاك الوطن الذي منحنا كل شيء و منحنا أسمى شرف، أن نكون طالبين علمٍ أو حَمَلَةً له ؟

أكثر من أي وقت مضى، ينبغي أن تُبعث فينا جذوة الوطنية من جديد، وأن يكون شعور الانتماء إلى الوطن هو البوصلة التي تهدي أفعالنا قبل أقوالنا، وأن يكون الخير العام هو الغاية الأسمى لكل مسعى. غير أن الوطنية قد تتخذ صوراً مختلفة باختلاف الأزمنة والظروف. ففي العصر الجاهلي كانت الوطنية وفاءً للقبيلة، وفي ألمانيا عقب الحرب العالمية الثانية تجلّت في صورة نساء الأنقاض، اللواتي انصرفن إلى رفع الركام وتعبيد الطرقات وبناء ما تهدّم خارج أوقات الدوام الرسمي.

أمّا في الجزائر، إبان حرب التحرير و قبلها، فقد تَمَثَّلَت الوطنية في اندفاع الرجال والنساء الذين منحوا دون انتظار جزاء أو شكر، وصولاً إلى التضحية الإسمى، و هي التضحية بالأنفس.

اليوم، بالنسبة إلينا نحن، طلاباً وأساتذة، تكون الوطنية في أن نُشَرِّف مكانتنا بسلوك متحضر، فنَجَل الحوار في طرح المشاكل و إيجاد الحلول لها، و نتفادى ثقافة السلبيّة المقيّنة، التي تعظم النقائص و تقزم المحاسن. اليوم، يجب أن تتجلى الوطنية في روح المسؤولية العالية التي تجعلنا نحرص على المكاسب، من بنى تحتية وتجهيزات وغيرها. يجب أن تتجلى الوطنية أيضاً في إرادة صادقة في طلب العلم، و رغبة حقيقية في الإسهام لتجسيد مفهوم اقتصاد المعرفة، الذي يجعل من الأفكار القاطرة لخلق الثروة، وفي ذلك كله أسس الحصن المنيع في وجه الاستلاب والاستعباد في هذا الزّمن الصعب.

اليوم ، تعني الوطنية كذلك ألا ننسى ميراث و عهد الأولين، و الوفاء لآمال وأحلام الذين ربّونا، و آمال و أحلام الذين ضحّوا بحياتهم من أجل وطنٍ حرٍّ لم يكتب لهم أن يروه، و أحلام كل البسطاء الذين ما برحوا يؤمنون بوطنهم في كل الظروف، يبذلون لمجده و دون حقّ في المجد.

عشتم و عاش الوطن فينا و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته.

